فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

بعد ما فرغ الكولونيل جيرار من حديثهِ السابق لبث هنيهةً صامتاً وقد اثرت فيهِ ذكرى تلك الحوادث ثم استأنف حديثهُ فقال

اقسم لكم بشرف الجندية الفرنسوية ايها الرفاق انني لم استلّ سيفي في معمعة من حروب امبراطورنا الا كانت جنودنا الظافرة . ولا انكر اني كنت موجوداً في معركة واترلو ولكني لم اخض غمارها ولذلك فشلنا في تلك الموقعة التي اودت بعزّ فرنسا وسطوتها . وقد كنت في ذلك الحين موفداً من قبل الامبراطور لابلاغ الرسائل الى الجيوش المتفرقة فكأن يد التقادير الغير المنظورة حكمت ان لا اقتحم بفرقتي غبار تلك الحرب وان يكون ذلك سبباً لسقوط الدولة . اما انا فقد وُفّقت الى اكتساب غار النصر في انسحابي من بولونيا الى ڤينا فان ما فعلتهُ في ليل الثامن عشر من شهر يونيو سنة ١٨١٥ يفوق كل اعمالي المجيدة فتعز بني ذكراهُ ويسرّني ترددهُ . وقد سمعتم ولا شك سيرة ذلك مراراً ولكن لا من فمي لان شروط الآداب اقتضت ان لا امدح نفسي اما الآن فلا بأس من اعادة ذلك على مسامعكم واطلاعكم على حقائق الامر كما حصلت

لم يجمع نابوليون في جميع وقائعهِ جيشاً اشدّ اجساماً واجمل منظراً من جيشهِ سنة ١٨١٣ وذلك لانهُ كان قد نهك فرنسا واخذ منها كل الجنود المحاربة ثم كتب الى الامبراطورة ماري لويز يقول انهُ في حاجة الى جنود فجعلت تستعمل نفوذها

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وتمليقها حتى الّفت جيشاً عرمرماً من الفتيان لم يبلغ اكبرهم العشرين من سنيهِ ودُعي هذا الجيش ماري لويز باسمها . ولكنهم ما لبثوا ان فرّقهم نابوليون فترك قسماً منهم بين ثلوج روسيا وقسماً في سجون مراكب انكلترا والقسم الآخر في أنفاق اسبانيا. وعاد هؤلآء للانضمام تحت راية الامبراطور في سنة ١٨١٥ بعد ان خشنتهم المصائب وحنكتهم التجارب ووضعت الحروب في اجسامهم دمآء حارة وقلوباً صوانية . فكانوا يحيطون بالامبراطور وقد بلغ حبهُ من افئدتهم حتى كادوا يعبدونهُ ولم يكن بينهم من يضنّ بروحهِ لو سألهُ بذلها في خدمتهِ . وكان الناظر الى اولئك الابطال يرى في وجوههم شدة العزم والشجاعة ونيران الانتقام فلا يشك في انتصارهم اينما توجهوا . واعتقدت فرنسا عموماً ان مسير اولئك البواسل سيكون الضربة القاضية على الامة الانكليزية فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة

وكان نابوليون قد جمع كل قواتهِ واسرع بي وبمئة وثلاثين الفاً من ابطالهِ الى الحدود الشمالية للايقاع بالالمان والانكليز . فلما كان السادس عشر من شهر يونيو شغل المارشال ناي الانكليز في كاتربرا وكنا نحن قد اشتبكنا مع الالمان في ليني . ولا اصف لكم انتصاري الباهر في تلك الواقعة فان فرقتي الهوسار حملت من غار الفوز ما اثقل كواهلها وتركنا ثمانية آلاف الماني موسدين الثرى . وبعد ذلك وجّه نابوليون المارشال جروشي لمطاردة الباقين منهم وليقطع عليهم خط الاتصال مع الجنود الانكليزية وارتدّ هو بنفسهِ على الانكليز ومعهُ ثمانون الفاً من الشجعان تتقد في صدورهم نيران الحماسة تحت قيادة امبراطورنا المحبوب

وكان مع ولنتون سبعة وستون الف جندي اكثرهم من الدنمرك والبلجيك لا يضمرون لنا سوءًا ولم يكن بين ذلك الجيش اكثر من خمسين الفاً يطلق عليهم لقب ابطال . فلما وجد ولنتون نفسهُ امام نابوليون وجهاً لوجه خارت عزائمهُ ولم يعد يقوى على الحركة ولبثت الجنود الانكليزية في ساحة واترلو كالارنب التي تهجم عليها الافعى فيملكها الدهش والفرَق . وكان نابوليون قد فقد احد اركان حربهِ في ليني وامرني ان آخذ مكانهُ فسلمت قيادة فرقتي الى الماجور ڤكتور وانضممت الى

حاشية الامبراطور وفي صباح الثامن عشر من الشهر المذكور كنت بجانبهِ حين خرج ليستطلع المكان ويرسم خطوط الواقعة . واشرقت الشمس بعد ليلةٍ كان مطرها غزيراً فوقعت اشعتها على كتائبنا فاذا هي كنهرٍ من الفولاذ وقد انعكست اشعتها عن حراب المشاة وسيوف الفرسان وخوَذ المدرَّعين فكانت الجنود الفرنسوية كأنها ارواح نارية . ولم املك نفسي عند مشاهدتي هذا المنظر البهيج فرفعت قبعتي وصحت بأعلى صوتي ليحيَ الامبراطور فردد دعآئي هذا كل فرد من الجيش وارتفعت على اثر ذلك جلبة عالية دامت حتى خالها الانكليز الرعد المتواصل وكأنهم سُحروا في اماكنهم فذابت قلوبهم وايقنوا بحلول اجلهم . ولو اصدر نابوليون امرهُ بالهجوم في تلك الدقيقة لكنا مجونا الانكليز عن وجه الارض وتغيرت صفحات التاريخ لانهُ فضلاً عن الشجاعة والحماسة التي كانت فينا اكثر منهم كان عددنا اكثر وجنودنا اوفر تجربةً وقوادنا امهر . غير ان امبراطورنا احب ان نكون على نظامٍ فانتظر ريثما تجف الارض ليتمكن من تسيير مدافعهِ الثقيلة فخسرنا في ذلك الانتظار ثلاث ساعات كان خسرانها سبب هلاكنا وسقوط مجد فرنسا

وبعد الساعة الحادية عشرة سمعنا دويّ مدافع جيروم بونابرت الى يسارنا فعلمنا ان القتال قد ابتدأ واذ ذاك زحفت فرقة ارلون الى اليمين لتشغل الانكليز في الجناحين . وكان نابوليون قابضاً على منظارهِ فاشار الى شيءٍ امامهُ وقال هل تعرفون ما هذا فوجهنا ابصارنا الى الجهة التي اشار اليها وكان امامنا غابان كثيفان بينهما منحدر اجرد فرأينا على المنحدر شيئاً اسود لم يمكّنا البعد من معرفتهِ . اما نابوليون فقال لا ريب ان هذا جيش جروشي وقد سددنا على الانكليز جميع الطرق فهم في قبضة يدي الآن وسأسحقهم سحقاً . ثم اجال نظرهُ فينا ولما بصر بي قال هوذا ملاك الرسُل فهل جوادك مستريح يا كولونيل جيرار . قلت ان تحتي فرسي ڤيوليت يا مولاي وكفى بذكر اسمها تعريفاً . قال فأسرع اذاً لملاقاة المارشال جروشي وقل لهُ ليهاجم مؤخر الجيش الانكليزي الايسر بينما نحن نغير على مقدمتهم فلا ينجو واحد منهم . وما تلقيت الامر حتى اعملت المهماز في خاصرتي فرسي فاندفعت بي اندفاع السيل

وكان نبضان قلبي اسرع من وقع حوافرها لسبب السرور الذي نالني بتفويض الامبراطور اليَّ امراً مهمًّا كهذا . وخطر لي من شدة الفرح ان اخترق لي طريقاً في وسط ميسرة الانكليز لأبلغ رسالتي بلا تأخير غير انني خشيت ان يختلّ ترتيب الامبراطور اذا اصابني عائق فسرت من طريقٍ اخرى ولو كانت اطول ومررت مرور السهم امام كتائبنا الذين كانوا باسرهم يودعوني بانظارهم ويعجبون بشجاعتي . وما بعدت كثيراً حتى ابتدأت المعمعة واطبقت الجيوش بعضها على بعض وكانت المدافع تصب كراتها من الجهات الاربع . والتفتُّ فرأيت فرقتين من الفرسان قد اشتكبتا تحت خيمة من نصال السيوف فطارت نفسي شعاعاً ووددت ان اعود واهجم بفرقتي معها لانني لا احب ان تقع ملحمة كتلك ولا اكون في وسطها ولذلك اسرعت المسير على امل ان ابلغ رسالتي الى جروشي واعود الى النزال . وما زلت اجد المسير حتى بلغت الغاب الاول وصرت اتوقع الالتقآء بالجيش فلم اسمع ما يدل على اقترابهِ . وبقيت متبعاً الطريق بين الاشجار الملتفة فلم اصادف سوى الحانات الصغيرة التي فتحها اربابها لمتشردي الجنود والفعلة . ولما قاربت اجتياز بقية الغاب وقفت فرسي امام احد تلك الحوانيت واصغيت فقرع اذني صوت الطبل ثم نظرت من خلال الشجر فرأيت في السهل جيشاً عرمرماً يسير بانتظام فاستبشرت ببلوغ المرام وايقنت ان جروشي سيكون في مقدمة الجيش فاقابلهُ حالاً واعود الى جانب امبراطوري . ولكن استوقفني ما رأيتهُ في لباس الجنود من الاختلاف وبينما كنت استوضحهم بنظري شعرت بيدٍ لمستني فنظرت واذا بصاحب الحانوت يقول لي بصوتٍ خافت ماذا تفعل هنا ايها الفاقد العقل . قلت ابحث عن المارشال جروشي . فقال عجّل بالهرب لانك الآن في وسط جيش الماني . قلت ذلك من المحال لان الامبراطور ارسلني لمواجهة جروشي فلا بدّ من الوصول اليهِ . قال قلت لك ان هذا جيش الماني وجروشي ورآءهُ فاذا كان لا بد لك من لقآء جروشي فتعال اخفيك الى ان يمرّ الجيش ثم تعود الى اتمام مسيرك . وقبل ان اصمم على شيء قادني الرجل الى امام الحانة وانزلني عن فرسي فاخذها الى اصطبلٍ ورآء البنآء وجرّني الى داخل

المكان . فرأيت فيهِ امرأة قصيرة القامة حمرآء اللون تطبخ الطعام فلما رأتنا جعلت تجيل نظرها فينا ثم قالت لزوجها ما هذا ومن احضرت معك . قال ضابط فرنسوي اود ان لا يقع في ايدي الالمان . قالت وماذا يهمك من امرهِ . قال الم اكن من قبل متجنداً في جيش نابوليون فكيف اتخلى عن مساعدة رصيفي في الجندية . قالت كنت في جيش نابوليون حين كانت بلجكا تحت سلطانهِ اما الآن فلا ارى في فعلك هذا شيئاً من الصواب لانهُ اذا شعر الالمان بامرك احرقوا البيت علينا لامحالة فاخرجهُ للحال . فوقف زوجها وقد اخذتهُ الحيرة وعلمت ان المرأة لم تفعل ذلك الا خوفاً على نفسها وعلى بيتها فنظرت اليها بحدة وقلت اعلمي ايتها السيدة ان نابوليون يهزم الآن الانكليز وسيكون هنا قبل غروب الشمس فاذا احسنتم معاملتي صادفتم خيراً جزيلاً والا فستقطّع جثثكم وتحرق ضمن هـذا البنآء . ثم تحولت الى اللين فقلت واني لأعجب من سيدة لطيفة نظيرك لا تدفعها رقة قلبها الى حماية ضابط باسل لجأ اليها . وكانت تتفرس في وجهي وعارضيّ فظهرت عليها ملامح اللطف والرقة و باقل من خمس دقائق تصافينا وتحابينا حتى ان زوجها تهددني بافشآء امري اذا لم اكف عن مداعبة زوجتهِ . ثم قال لي اسرع اسرع الى المختبأ فقد اقترب الالمـان ودفعني الاثنان الى سلم اوصلني الى سقف الغرفة وكان هناك بابٌ خفيٌّ دفعتهُ فانفتح ودخلت فأغلقهُ ورآئي . ولم اكد افعل حتى سمعت قرعاً على باب الحـانة تبعهُ كلام بعض الجنود الالمانية في الداخل . وكان المحل الذي دخلتهُ بين سقف البنآء والآجرّ اتخذوهُ لخزن بعض موجوداتهم فرأيت فيهِ عدداً من القناني الفارغة وكومة من الحشيش اليابس لعلف البهائم . فجلست على كومة الحشيش افكر في ما يجب عملهُ فرأيت الافضل ان انتظر الى ان اتمكن من الخروج لملاقاة جروشي وتبليغهِ رسالتي . وخالفت عوائدي هذه المرة باجتناب الاخطار لانني علمت ان مستقبل فرنسا متوقف على دراية ملك الرسل كما لقبني الامبراطور

ونظرت من خلال الالواح الخشبية الى اسفل فوجدت ان الالمان الذين دخلوا بعدي جرّاح احضر بعض المجاريح وكان يهتم بتضميد جراحاتهم . ثم

سمعتهُ يسأل صاحبة المكان عن فراش ولو من الحشيش فانكرت وجودهُ . فقال لا بد ان يكون عندكم شيء من الحشيش اليابس فوق وهمَّ بارتقآء السلم فجعلت تمانعهُ وتغلب عليها اخيراً فصعد وفتح الباب فاسرعتُ ووقفت ورآءهُ حتى اطبقهُ بعدهُ ثم تقدمت اليهِ والسيف مصلتٌ بيدي . فلما رآني ارتعشت اعصابهُ وقال من انت قلت لايهمك امري فانا قاتلك اذا تكلمت او صديقك اذا صمتَّ . قال انا طيب لا شأن لي في القتل فاذا تركتني آخذ شيئاً من هذا الحشيش اعدك اني انسى وجودك حالما اخرج من هنا . ورأيت في هيئتهِ ما داني على صدق قولهِ فسمحت لهُ وتأبط شيئاً من الحشيش ونزل فبقيت اراقبهُ الى ان وصل الى رفاقهِ وعاد الى مداواتهم بدون ان يذكر شيئاً . و بعد حينٍ ظننت ان الجيش الالماني قد مرَّ كلهُ فنظرت من مخبإي الى الخارج فرأيت جيشاً آخر يقترب تابعاً الاول وظننتهُ لاول وهلة جيش جروشي ولكن ساء فألي فانهُ لم يكن الا جيشاً المانيًّا ثانياً يتبعهُ جيشٌ ثالث عن بعد . فاسودّت الدنيا في وجهي وعلمت انهُ لا يمكنني مغادرة المكان في ذلك اليوم فماذا يحل بتدبير الامبراطور اذا لم تصل الرسالة في وقتها . ولم ادرِ ان التقادير قد عرقلت مسعاي وسجنتني هناك لغاية اسمى ونهايةٍ اهمّ لانهُ ما اقترب الجيش الثاني حتى انفرد منهُ رجلان احدهما قد وخطهُ الشيب والآخر فتى فدخلا الحانة وجلسا الى مائدة بسطا عليها خريطة وجعلا يقيسان ابعادها ويتكلمان كلاماً لم اسمعهُ . و بعد هنيهةٍ دُفع الباب ودخل رسول انكليزي قد سال دمهُ وانتهكت قواهُ وخار عزمهُ ولكنهُ تمالك وقال اين الجنرال بلوخر . فقال اكبر الاثنين هآء نذا. فقال الرسول قد اوفدني الدوق ولنتون لابلغك ان الجيش الانكليزي يستطيع الثبات طويلاً ويسألك الاسراع في الزحف للتضييق على الفرنسويين من الجانبين . ولم يكد يتم رسالتهُ حتى سقط الى الارض فاقد القوى . فنظر بلوخر الى رفيقهِ الفتى وقال سنفعل كذلك فأوفد يا جنيسنو رسولاً الى ولنتون يعلمهُ بقيامنا وها انا ذاهب لاعجل مسير الجيش . ولما خرج نادي جنيسنو فارساً وقال لهُ اختر لك عشرة رفقآء من الاشدآء نظيرك واسرعوا الى ما بين كنابّ وشارلروا فانني موقن بانكسار الفرنسيس

ولا بد من رجوع نابوليون بدون حرس من تلك الطريق فتقبضون عليهِ لاننا اذا كسرناهم وبقي هو مطلقاً لا يلبث ان يجمع جيشاً آخر ويعود الى مضايقتنا فاذا اسرناهُ انهينا شرورهُ وارحنا العالم باسرهِ . وانا افوض هذا الامر اليك لما فيهِ من الشرف الذي اذا حصلت عليهِ ردَّد التاريخ اسمك الى الابد

وكان الفارس يسمع الامر بسكون فتفرست فيهِ وعرفت انهُ من الاشخاص الذين يخشى بأسهم . ثم رأيتهُ خرج فانتخب عشرة فوارس اسرّ اليهم كلاماً وانطلقوا جميعاً انطلاق الرياح . واذ ذاك لم اعد املك صبري فنسيت جروشي ومهمتي وكل شيء الا سلامة الامبراطور فعزمت ان اتخلص من ذلك المكان بأي وجهٍ امكن وابذل جهدي للاجتماع بنابوليون فأسهر عليهِ وانقذهُ من كل خطر مفاجئ وقوَّى عزمي على هذا الامر ما سمعتهُ من كلام الجنود عن تقهقر الجيوش الفرنسوية وهلاك كتيبتين من الفرسان فأيقنت انهُ لو كان امبراطورنا نفسهُ مكاني لرأى ان رجوعي الى المعسكر احزم وافضل من متابعتي السير لملاقاة جروشي ولا سيما لانهُ لم يعد في امكاني الوصول اليهِ قبل اليوم الثاني فتكون المعركة قد انتهت

وبعد ذلك عدت الى نافذة السطح اراقب منها الجيش الالماني فرأيت ان قسمهُ الثاني قد مرَّ وسمعت اطلاق مدافعهِ مما دلني على انهُ قد بدأ بالهجوم بدون تأخير ورأيت القسم الثالث لا يزال بعيداً . فقررت ما يجب عملهُ في الحال وفتحت باب محبسي ونزلت السلم غير مبالٍ بأحد . وكان في الغرفة بعض الجرحى ممن ذكرتهم قبلاً لا يقوون على الحركة والجرَّاح والرسول الانكليزي. فلما صرت بينهم حاول الرسول المذكور ان ينهض لمقاومتي وهو يصرّ بأسنانهِ فجرّدت سيفي في وجههِ وتهددتهُ بالموت العاجل فسكن . ثم اقتربت الى عباءتهِ وكانت ملقاةً الى جانب وقلت اني لن اضركم بشيء انما احتاج الى هذه العباءة فهل تسمح لي بها . فقال بحنقٍ خذها ولكن اعطني الصندوق الذي في جيبها . قلت معاذ الله ان اسلبك من محتوياتها شيئاً وكنت قد اخرجت من جيوبها منظاراً وصندوقاً صغيراً فدفعتهما اليهِ وقبل ان انقل خطوةً واحدة فتح الصندوق واخرج منهُ غدارةً صوّبها الى صدري

فاختطفتها من يدهِ بأسرع من النسيم ثم رفستهُ برجلي فسقط الى الارض وللحال قفزت الى الخارج وما بلغت الاصطبل حتى امتطيت فرسي وجعلت انهب الارض نهباً . وتحقق لي وجود الامبراطور في ارتباك لانني سمعت دوي المدافع الالمانية يبتعد عني وكان ينبغي ان يقرب الى جهتي لو انكسروا وخشيت على الامبراطور ان يجبر على الفرار ويقع في ايدي الكمين قبل ان اصل اليهِ فاضطررت ان اخاطر بحياتي وامرّ بين الجيوش الالمانية لانني لو ذهبت من طريق اخرى لفاتني الوقت . وكانت العباءة التي اخذتها من الرسول الانكليزي تستر كل جسمي فصار من السهل مروري بينهم ولكن لو كلموني لعرفوا للحال من لهجتي حقيقة امري فانني مع كوني في اثناء حروبنا قد تعلمت اللغة الانكليزية من الفتيات حسب عادتي لم اكن احسن لفظها جيداً . وبلغت ساقة الجيش الالماني فلم يخطر لهم قطّ ان الكولونيل جيرار يفعل مثل هذا الجنون وعدُّوني من رسل اركان الحرب فأوسعوا لي طريقاً بين صفوفهم اخترقتهُ كمرور السهم ودخلت في قلب الجيش فرأيت عيون الجميع متجهة اليّ وحاول بعضهم ان يستوقفني ليسألني عن مهمتي فخطر لي للحال ان صحت بالالمانية اين الجنرال بلوخر . وكأن هذه الكلمة كانت طلسماً فتح لي الطريق وصرت كلما رأيت جنوداً في طريقي اقول الجنرال بلوخر فينفرجون من امامي . وبعد ان قطعت مسافة ميلين تقريباً تقدم جندي فأخذ بعنان فرسي وقال ها هو الجنرال بلوخر الى يمينك . فنظرت واذا ببلوخر حقيقةً بالقرب مني فطار رشدي وايقنت بالهلاك ولكن قوة عقلي وذاكرتي لم تفارقني فتذكرت للحال ما سمعتهُ في الحانة من ان الجنرال بيلو في مقدمة الجيش فقلت للجندي انما رسالتي الى الجنرال بيلو . فرفع يدهُ وقال اذاً اسرع الى المقدمة يا صاح وليكن الله معك . وما صدقت ان سمعت منهُ ذلك حتى اسرعت وجعلت اصيح بأعلى صوتي الجنرال بياو الجنرال بيلو كلما رأيت امامي جنودا وبقيت على هذه الحالة حتى بلغت مقدمة الجيش وانا لا اصدق انني فعلت ذلك . فلما رأت صفوفهم الامامية في تقدمي ما يدعو الى الارتياب اسرع اثنان منهم لتعقبي فتخلصت منهما بأن طعنت الاول بسيفي فألقيتهُ صريعاً واطلقت

غدارتي على الآخر فألحقتهُ بصاحبهِ ثم طرحت عني العبآءة ليظهر من تحتها الكولونيل جيرار وليعلم الالمان ايّ طريدةٍ قد تخلصت من بين ايدي ستين الفاً منهم

ولم يعد عليَّ سوى اجتياز ذلك السهل فطابت نفسي ولكن وا اسفاه فان المنظر الذي رأيتهُ حينئذٍ نزع كل ما بقي فيَّ من الامل فاني رأيت كتيبة الحرس الامبراطوري تتقهقر وقد بانت عليها علائم الانكسار والهلاك . وكنت اعلم ان الامبراطور لا يستعمل الحرس الا عند آخر الشدة والاضطرار فايقنت انهُ لم يعد من املٍ لفرنسا في تلك الواقعة . ثم رأيت الجنود الانكليزية قد رفعت قبعاتها وصاحت صياح الانتصار وهي هاجمة من جميع الجهات تطارد كتائبنا فأجبرت على السير معهم وهم مندفعون كالسيل الجارف ورأيت بين الفرسان من بقي من فرساني الهوسار فكسرت فؤادي حالتهم وكانوا قد فقدوا في الواقعة قائدهم وسبعة ضباط وخمس مئة قتيل . فلما رأوني تألبوا حولي ولم ينطقوا بكلمة فاعدت نظامهم واخبرتهم ان لا بد لي من مفارقتهم الى حين وامرتهم ان ينجوا بنفوسهم وينتظروني في سانت اوناي حيث اوافيهم بعد قضآء مهمتي . ولما سنحت لي اول فرصة فصلت عن الجيش وسرت في عرض البيدآء لاقتفآء الامبراطور بعد ان استدللت على الجهة التي ذهب فيها . فمررت بين القتلى والجرحى وكانوا منتشرين في السهل على مسافة ميل طولاً ونصف ميل عرضاً وهو منظرٌ لن انساهُ طول حياتي . ورأيت في جملة ما رأيتهُ ضابطاً كُسرت رجلهُ كان يستغيث بالجنود كي لا يدوسوهُ ولكن لم ينتبهوا لصراخهِ وآخر قطعت يدهُ وكان الدم يتدفق من صدرهِ بغزارة وفارساً تهشم جسدهُ فاطلق غدارةً على جوادهِ فاماتهُ وافرغ الاخرى في رأسهِ فسقط فوقهُ . ثم رأيت رجلاً مكشوف الرأس وقد تغطى وجههُ بسواد البارود وتمزقت ثيابهُ وهو يطفر ويصيح تعالوا انظروا كيف تموت مارشالية فرنسا وعرفتهُ للحال انهُ المارشال ناي . ولقد صدق القائل ان الفرنسويين في الهجوم فوق البشر وفي الانهزام اضعف من النسآء . ثم مررت على كوكبة من فرسان الحرس الخاص وقد احاطت بها المدافع الانكليزية وجعلت تفتك بها فتكاً ذريعاً فسألتهم لماذا لا يبادلونهم اطلاق النار

فقال قائدهم لان بارودنا قد نفد . قلت ولماذا لا تفوزون بالنجاة . قال اننا نقف هنا لنعوق هؤلآء الملاعين عن اتباع الامبراطور . فتأثرت من هذه التضحية وسرت وانا امسح دموعي . وما زلت مجدًّا حتى اجتزت كنابّ فرأيت الامبراطور ممتطياً جوادهُ وعلى وجههِ امارات اليأس الشديد ومثلهُ من كان معهُ من الفرسان وهم سولت وبرتران ولوبو ودروو وخمسة فوارس من الحرس وكانوا جميعهم في منتهى البؤس والضنك . ولما قار بتهم قال الامبراطور مَن القادم . قال سولت هو الكولونيل جيرار يا مولاي . قال هل قابلت جروشي . قلت لا يا مولاي . فقال لم يعد يهمني شيء . ثم عطف رأس جوادهِ وهمّ بالرجوع الى ساحة القتال وحدهُ لو لم يحط بهِ الرجال ويرجعوهُ قسراً فاستسلم لارادتهم وسرنا لا ينبس احدنا ببنت شفة طول الليل حتى لاح لنا الفجر على بعد ثلاثين ميلاً من واترلو واشرفنا على شارلروا وكانت عربة الامبراطور تنتظرنا في جانب الطريق فترجلنا جميعاً . وكنت انتظر ان ينضم الينا بعض الجنود المتفرقة فلا نعود نخشى الكمين الراصد لنا في طريقنا فلم يأتنا احد . وبينا بلغنا المكان ما عتمت ان رأيت عن بعدٍ فرساناً يجرون الى جهتنا فتحققت انهم الكمين ورأيت انهُ ليس فينا من يستطيع المقاومة سواي وآخر من الحرس اما الباقون فلم يكن فيهم ولا في خيولهم شيء من القوة فصحت بجزع اواه قد جآء الالمان . وكان الامبراطور اذا استآء من احدٍ اهانهُ بكلام قاسٍ جدًّا فكأنهُ اغتاظ من انبآئي فنظر اليّ شزراً وقال اخرس ايها المهذار ثم قال انك جننت قبل ان تقول ان الالمان تأتي الينا من جهة فرنسا . فأثرت كلماتهُ فيّ ولا طعن الحراب ولكنني صمتُّ وقد سامحت نابوليون من كل قلبي لا بل انتقمت منهُ على ذلك بعد فترةٍ قصيرة جدًّا . لانهُ ما كاد يتم كلامهُ حتى قال سولت حقًّا انهم المان يا مولاي وقد هلكنا لانهُ ليس بيننا من يستطيع الدفاع ولا تقدر خيولنا ان تحملنا بعد . ورأيت لاول مرةٍ في حياتي وجه نابوليون قد جمد كالصخر فوضع رجلهُ الواحدة على سلم العربة ووقف كأنهُ نسي العالم اجمع . اما انا فأدركت خطر الموقف و بأقل من لمح البصر وثبت الى جانبهِ وقلت لهُ هات دثارك وقبعتك يا مولاي وقبل ان ينزعها

هو أو يعلم كيف يفعل كنت قد انتشلت قبعتهُ فوضعتها على رأسي وارتديت دثارهُ ثم امتطيت جوادهُ المشهور بعد ان دفعت نابوليون الى داخل العربة . وكأن الجواد عرف قصدي قبلهم فانطلق بي كوميض البرق . وكان غرضي ان احول انظار الالمان عن الامبراطور واجعلهم يتبعوني ظانين انني هو فمثّلتهُ باللبـاس والركوب ونجحت حيلتي لانني ما ابعدت عنهم حتى رأيت الالمان قد حولوا وجههم تاركين جماعتنا وساعين في ادراكي . ولا تسلوا عن سروري بذلك حتى لو ادركوني وقطعوني بسيوفهم لكنت متُّ مسروراً لانني اكون قد انقذت الامبراطور وانتقمت منـهُ عما قال لي . وبلغت رابيةً فاختلست النظر واذا بالالمان يطاردونني على بعد نحو مئتي متر فقط وكان عددهم تسعة فوارس ثم نظرت الى جهة الامبراطور فوجدت ان عربتهُ قد ابتعدت الى الجهة الاخرى يحف بها المارشالية الذين ذكرتهم وتخيل لي اني اسمع كلامهم واعجابهم بشجاعتي وعملي الذي انقذهم من الاسر والهـلاك فتبسمت وتجددت فيَّ القوة فأحببت ان أري مطارديَّ ايضاً شيئاً يجعلهم لاينسون الكولونيل جيرار ابداً . وكنت قد اتقنت في ركوبي هذا تقليد نابوليون جيداً حتى انني دليت رأسي بين كتفيَّ كما كانت عادتهُ اذا ركب . وساعدني جوادهُ في الوثوب فوق الصخور والجدران غير ان خيول مطارديَّ كانت ايضاً قوية فبقيت على نفس البعد مني الى ان بلغنا ساقية مآء دفعتُ اليها جوادي فخاضها بدون توقف. ولما بلغوها هم وقفت الخيول فجأة فسقط ثلاثة من الفرسان الى الارض ولم اعد اراهم بعد ذلك اما الستة الباقون فوصلوا الى وسط المياه حين كنت قد بلغت الشاطئ الثاني. فاهويت بيدي الى سرج الجواد لآخذ غدارةً فلم اجد ثم الى سيفي فوجدت انني قد تركتهُ معلقاً في سرج فرسي ڤيوليت ولكن وجدت عوضاً عنهُ سيف الامبراطور وهو احدب قصير فاضطررت الى الاكتفآء بهِ . ولما ابتعدت قليلاً رأيت ان مطارديَّ قد اصبحوا خمسةً فقط فان احدهم كان قد سقط عن جوادهِ في المياه فابتلعتهُ . وتبعني الخمسة بحماسة الا ان احدهم سبق رفاقهُ مسافةً فتباطأت في المسير قصداً حتى كاد يحاذيني فانثنيت اليهِ بسرعة البرق وضربتهُ بسيف الامبراطور

فأطرت رأسهُ و بقيت جثتهُ واقفة على ظهر الجواد الشارد بضع دقائق . فصاح الاربعة الباقون صياح الغيظ والحقد واجتهدوا في لحاقي للانتقام مني وكان احدهم ينادي باعلى صوتهِ قائلاً سلِّم أيها الامبراطور فالتسليم اولى . اما انا فضحكت منهُ وهززت سيفي الصغير في وجههِ غير مبالٍ بشيء . ثم احتلت على آخر فأذقتهُ ما أذقت الذي قبلهُ غير انهُ في هذه المرة دخل نصل السيف في أضلاعهِ فلم أستطع نزعهُ بالسرعة اللازمة وكاد يدركني الباقون فتركت السيف وفزت بنفسي مكتفياً بانهُ لم يبقَ من مطارديَّ الا ثلاثة فقط ولكنهم كانوا قد اقتربوا مني كثيراً وهم محاذون بعضهم لبعض فوجدت من الحماقة ان اقابلهم معاً وانا بلا سلاح . ثم سمعت طلقاً ناريًّا ورآئي واذا بجوادي قدجثا الى الارض ولكنهُ نهض بسرعة فائقة وتابع جريهُ فشعرت ان الدم يسيل من فخذهِ اليسرى وكان قد أصيب . فعلمت اذ ذاك انني في خطر جسيم وصرت اود الوصول الى محل امين والتخلص من اولئك الملاعين . ثم مرت رصاصة اخرى فمسحت شعر رأسي فطار رشدي ولم اعد اهتمّ بشيء الا بالاسراع حتى بانت لي عن بعد قريةٌ صغيرة ورأيت قبة كنيستها فعرفتها للحال انها سانت اوناي حيث امرت فرقتي الهوسار ان توافيني . وبينما كنت افكر فيما اذا كانوا قد بلغوها اذا ببعض فرساني قداقبلوا فما صدقت ان رأيتهم حتى صحت بهم مستغيثاً فوقفوا مبهوتين وقد ظنوني الامبراطور كما اخبروني بذلك فيما بعد . أما أنا فما بلغتهم حتى سقطت مع الجواد الى الحضيض من شدة الاعياء . ولما صرت بينهم ورأى مطارديَّ ذلك حرقوا بأسنانهم ونكصوا على أعقابهم فتبعهم بعض فرساني مسافةً ولكن ارجعهم التعب والضنك . وهكذا نجوت بعد ان اشتريت شرف نابوليون ولكن يا للاسف فانهُ لم تطل المدة بعد ذلك اكثر من ثلاثة اسابيع حتى أخذهُ الانكليز بعد ان سلم نفسهُ اليهم فأرسلوهُ الى جزيرة القديسة هيلانة . ولكن كفى فاني لا اذكر هذا الاسم الا وأشعر ان دم الشباب قد دب في عروقي فأودّ لو أجند جيشاً فلا أبقي من أولئك الملاعين الظلمة اكلة لحم البقر واحداً